جعلت تزيد فى حراسة قوافلها منذ استقر المسلمون بالمدينة، وتسلك بها طرقًا غير مألوفة، وتضرب فى متاهات الصحراء ودروبها الوعرة، وفى ذلك مافيه من خسارة ومشقة.

كانت هذه السرايا إذن «حرب أعصاب» من جهة، وكانت من جهة أخرى نوعًا من «الحصار الاقتصادى»، الذى يلجأ المتحاربون إليه فى الحرب الحديثة؛ كما أنها أثمرت إلى ذلك ثمرة أخرى لها وزنها وقيمتها، وهى محالفة عدد من القبائل العربية الضاربة فى الصحراء بين مكة والمدينة، وضمان مناصرتها للمسلمين إذا ما اعتُدِى عليهم، أو ضمان حيادها - على الأقل - وعدم انضمامها إلى قريش أو غيرها من أعداء المسلمين.

غلطة تحاول قريش استغلالها

على أن الشرارة التى اشتعلت بها النار بين الفريقين هى «سرية عبد الله بن جحش»: فقد أرسله رسول الله ﷺ فى رجب ومعه ثمانية من المهاجرين، ليستطلع أخبار قريش؛ فكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين فإذا نظر فيه فلْيَمْضِ لما أمره، ولا يستكره أحدًا من أصحابه. فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل «نخلة» بين مكة والطائف فترصَّدْ بها قريشًا، وتعلَّم لنا